نظرات في النفس والحياة

— ٢٧ —

تكملة نظرات هازلت

للأستاذ ع . شكري

وليام هازلت هو الكاتب الناقد الانجليزي صاحب الرسائل وله مؤلفات أهمها رسائله في موضوعات مختلفة ، ويمتاز بالنظر في النفوس وخصائصها وفي بعض الأحايين يذكرنا مونتاني الفرنسي صاحب الرسائل ، وله كتاب في سيرة نابليون بونابرت كتبه من جانب الأحرار كما كتب السير والتر سكوت سيرة نابليون من جانب المحافظين . وقد بلغ اعجاب هازلت بنابليون حداً لم يبلغه إعجاب جوتا الألماني فان جوتا كان يعرف عيوبه . وقد كان هازلت مناصراً لنابليون حتى بعد أن تخلى عنه الاحرار الفرنسيون. وبالرغم من أنه أرهق انجلترة بحروبه وكان هازلت من الأحرار الانجليز ولكنه كان ينتقد تطرف الأحرار أمثال شلي الشاعر الانجليزي فاعتناقه لمذهب الاحرار كان مقروناً بالطبيعة العملية وحب الاصلاح العملي وفي حدود مستلزماته فهو من هذه الناحية انجليزي بطبعه . والظاهر انه كان يناصر نابليون لأنه كان يعلم أن سقوطه يؤدي الى روح رجعية في فرنسا وغيرها كما حدث فعلاً بعد سقوطه. وكان هازلت معجباً بأدمولد بيرك وعبقريته بالرغم من أنه انتقد أعمال أحرار الثورة ومبادئها وكان يقدر وردزورث الشاعر بالرغم من انكاره انقلابه على مبادىء الأحرار ولم تكن له منفعة شخصية في مناصرة نابليون والاعجاب به . والذي يهمنا من مؤلفات هازلت نظراته في النفس والحياة في رسائله العديدة . ولعلّ هذا سبب اعجاب سمرست موام القصصي به ، ولو انه مدحه لطلاوة أسلوبه وله كتاب (رسائل حديث المائدة) و (رسائل المائدة المستديرة) و (رسائل وتترسلو) وغيرها . وله كتاب فلسفي لا داعي للكلام عنه إلاّ أن نشير إلى شغفه بالفلسفة ربما كان من أسباب عمق بصيرته في رسائله

التي عني فيها بالنظر الى خصائص النفوس وكان مولعاً في صغره بالرسم . ولكن غلب عليه الأدب . وكذلك كان مولعاً بالشعر، وله رسائل في نقد الرسامين والشعراء ، وله بحوث في قصص شكسبير وأشخاصها ، وفي قصص شعراء عصر الملكة اليزابيث التمثيلية . ولعل دراسة هؤلاء كانت أيضاً من أسباب بحث خصائص النفس والحياة. وكان صديقاً لكولريدج الشاعر ولشارل لامب صاحب الرسائل المعروفة. ولم يكن موفقاً في حياته الزوجية كما لم يكن موفقاً في اجتذاب الأصدقاء واستبقائهم ولا في تجنب الخصوم وتألبهم . وقد أثر أقوال الخصوم في رأي بعض الكتاب الى عصرنا هذا . وقد اتهم بمناقضة نفسه إذ يمدح الانسان ثم ينقده ولكن ذمه أو نقده لمن نقد كان من جانب آخر غير الجانب الذي مدحه به كما رأينا في نقده لادموند بيرك الخطيب العبقري والشاعر وردزورث الخ. ومن قرأ رسائله وجد أنه في أكثرها أعظم اتزاناً مما يظن خصومه . ولعل كثيراً من الانجليز لم يغتفروا له، كما لم يغتفر بعض الألمان لجوتا اعجابه بعبقرية نابليون واصلاحه وتنظيمه ، وذلك لاعتداء نابليون وارهاقه الدول وتعطيله التجارة فعمت تكاليف الحياة . وفيما يلي بعض نظراته مع تعقيب قليل على بعضها : —

(١) ان الذين لم يتعودوا أن يجادلهم مجادل وان يعارضهم معارض لا يعرفون كيف يقابلون المعارضة والمحاجة فاذا فاجأتهم معارضة تلمسوا طريق الفرار قائلين بالاعتدال . ومفاجأة الأمر الذي لم يتعودوه تبث في معظمهم فتصيبهم الدهشة والخوف من الأمر الغريب، وربما يبعث الأمر الغريب الذعر والقلق والحيرة والارتباك ، فالمعارضة والمجادلة والمحاجّة أمور تعوّد المرء الاعتماد على نفسه وعقله .

(٢) إن حب الانسان للحياة وتعلقه بها وتشبّثه لا يكون على قدر هناءتها ودعتها، وما يلاقي فيها من دواعي السرور . فانك قد تجد الرجل المكدود الذي لا ينال رزقه إلا بدق النفس أكثر تعلقاً بالحياة من الوارث المنعّم المدلل الذي يجد كل شيء مستطاعاً . ومع ذلك قد لا يلذ له شيء ، وربما يحجم نفسه من الملل. وانما يكون تعلّق الانسان بالحياة على قدر رغائبه ومطالبه منها التي لم ينلها بعد ولم يحصل عليها . وكثيراً ما تكون المتعبات والمطالب حافزاً له على التشبّث بالحياة والاستمساك بها فالذي يريد أن يتخذ من تشبث

الانسان بالحياة دليلاً على أن السعادة فيها أغلب وأعم من الشقاء، وأنها أمر قيّم في ذاته، إنما يتخذ منطقاً غير صحيح كي يثبت به أمراً ربما كان صحيحاً .

(٣) قد تعظم شدة عاطفة الانسان ورغبته بسبب العوائق التي تعوق عن الأمر المرغوب فيه، وليست قيمته ولا عظم فائدته هي السبب . فكم من أمر كنا لا نقيم له وزناً ولا قيمة، ولا نأبه له كثيراً وهو في يدنا، حتى إذا خرج منها ولم يعد في حيازتنا، اشتد طلبنا له وأسفنا على فقدانه اذ كان ليس في استطاعتنا أن نحوزه .

(٤) كل ما هو خير في نفس المرء قد يدفعه الى الشر والاجرام كانتصاره لما يرى أنه حق وفضيلة، أو كمناصرته لعقيدته، أو كاخلاصه لوطنه. وذلك لانه أصعب على المرء أن يبذ مخالفه أو خصمه بالفضل، وأسهل أن يقهره وأن يؤذيه بالاعتداء والبطش، وفي كل نفس مع ما فيها من خير . ميل إلى الشر مكبوت كالكلب المفترس المكمم، فاذا استطاع المرء أن يخلق عذراً لنفسه بأية وسيلة رفع الكمامة وأطلق ذلك الكلب المفترس والوحش الضاري وأجراه على الناس كي يؤذيهم، فكل ما يحتاج الانسان كي يصنع الشر هو اختلاق العذر. ومن أجل ذلك ينبغي أن يحذر المرء جانب الخير من نفسه، وحيّز الفضيلة منها بقدر حذره جانب الشر والرذيلة .

(٥) يقول بعض الناس إن الرذائل إذا زُيّنت وحُسّنت فقدت نصف شرها . وعندي إنها تزداد شرّاً بتلك الزينة التي تكتسب من زينة أصحابها . ومن رشاقة ظاهرهم، أو من تغييرهم أسماءها، أو من تحليتها بشيء من الفنون الجميلة يجمّلها ويخفي قبحها وشناعتها، أو من مظاهر الغنى والترف التي تغطي عليها، فيقبل الناس عليها، بدل النفور منها، ويرتادونها بدل الفرار عنها .

(٦) كثيراً ما يلجأ الناس إلى الاضطهاد في معاملة ذوي الاضطهاد، وإلى قلة التسامح مع أعداء التسامح، فلا يزول الاضطهاد ولا تمتنع قلة التسامح . وقد يكون الاضطهاد لغير قصد مادية ذوي الاضطهاد، بل للذة تجدها النفوس فيه .

(٧) إن تنبّه عقل الانسان للأمور لا يكون على قدر الفائدة والعائدة من تلك الأمور، وإنما يكون على قدر وقعها من نفسه وأهوائها وهواجسها . وقد لا تتناسب شدة

وقعها من نفسه وأثرها فيها مع الفائدة المرجوة منها. بل قد يكون أثر شدة وقعها من نفسه مثل أثر الاشراف من مكان مرتفع على هوة سحيقة، فيحس المرء احساساً بالاندفاع الى تلك الهوة، وذلك الحضيض، ويكاد يرمي بنفسه فيه. وقد يفعل وهو يعرف أنه هالك لا محالة اذا فعل، وإنه لا فائدة له اذا رمى بنفسه فيه.

(٨) إن بعض الناس لهم قدرة غريبة على ربط أنفسهم بكل موضوع الحديث حتى يصير حديثاً عن أنفسهم بعد أن كان حديثاً عن الموضوعات العامة مثل الكتب أو الحضارة أو الريف أو الشعر أو الفلسفة أو السياسة أو المجالس النيابية أو المساقي أو أي موضوع آخر لا صلة لهم به، ولكنهم بمهارة سحرية يحولونه الى حديث عن أنفسهم، والى محاولة تمجيد خصالهم وصفاتهم وأعمالهم، حتى ان جليسهم يكاد لا يعرف كيف تحول الموضوع.

(٩) ومن الناس من لهم موضوع حديث واحد غالب عليهم ولازم لهم لزوم الظل لصاحبه (فاذا كان الحديث الغالب عليهم هو الحديث عن الحلاقة حولوا كل حديث مهما كان موضوعه الى حديث عن الحلاقة) ومثل هؤلاء مثل الآلة الموسيقية التي لا تخرج غير نغمة واحدة، ويدور بها الشحاذون يستجدون فيطلقون النغمة الواحدة منها في كل مكان مرة بعد أخرى. وكذلك أصحاب الفكرة الواحدة أو القصة الواحدة التي لا تفارقهم ولا يفارقونها أبداً ويحكونها ويرددونها في كل مجلس حتى المجالس التي سبق ترديدهم لها فيها ويجدون لذة في ذلك ولا يشعرون بما يعانيه جلساؤهم من ألم وملل وامتعاض.

(١٠) ومن الناس من يأبون إلا ان تقتنع بآرائهم، فاذا سكت شعروا ان سكوتك من عدم الاقتناع، لجوا في ذكر آرائهم وترديدها وإعادة ذكر حججهم ويأبون تغيير موضوع الحديث إذا حاولت ان تغيره بلطف، وإذا اعترفت لهم بما يريدون كي تتقي الحاحهم شعروا ان اعترافك لهذا السبب وحده دون الاقتناع، فانهم ربما أعادوا الكرة عليك بآرائهم وحججهم ولا تقنعهم مجاملتك لهم حتى يروا مظاهر الاقتناع منك بادية عليك سواء أكان وراء تلك المظاهر اقتناع حقيقي أم كنت ماهراً في تزييف مظاهر الاقتناع حتى يخدعوا بها.

(١١) قال الاسكندر المقدوني لو لم أكن الاسكندر لوددت أن أكون ديوجنيز الفيلسوف. وهذا الاستثناء صفة عامة في النفوس، فاذا سمعت انساناً يود ان يكون انساناً

آخر فهو انما يود ان يطلّع على شخصيته ، وان يزاد عليها ثروة المغبوط أو مجده أو ذكاءه أو جاهه أو قوته الخ. اما ان يتمنى المرء مع حيازته لهذه الامور المغبوطة ان يفقد شخصه ونفسه فأمرٌ لا يقبله أحقر صعلوك ، لأنه لو فقد ما يميزه من غيره من ذكريات وخواطر وصفات وآمال واحساسات وصار انساناً آخر لم ينتفع بالامور المغبوطة التي حازها ، بل المنتفع يكون انساناً آخر غير نفسه ، وقد خسر نفسه بدل أن يزاد عليها .

(١٢) بالرغم من صغر شأن كل انسان في العالم وصغر شأنه فانه قلما يفطن الى ان العالم لا يباليه ولا يهتم له كما يبالي نفسه وكما يهتم لشؤونها فيدهش ويرى أن ذلك من قلة الانصاف كأنه يرى ان من الواجب ان يبالي العالم نفسه وشؤونها كما يباليها هو ، مع ان الامر عكس ذلك إذ من الامور الطبيعية ان لا يقيم الناس وزناً لامره كما يقيم هو وزناً لها . وقد يفطن الى ذلك بعد الغفلة ، ولكن هذه الفطنة لا تلبث ان تزول ، فاذا فوجيء مرة أخرى بالشعور بقلة مبالاة الناس اياه دهش مرة ثانية ثم مرة ثالثة ، وهكذا لا تفاجئه تلك الدهشة كلما فوجيء بقلة اهتمام العالم له كما يهتم لنفسه وعدم اقامته وزناً لاموره كما يقيم لها وزناً . وقد تكون دهشته في كل مرة مثل دهشته في المرة السابقة وقلقه وقلة اطمئنانه مثلها في كل مرة يشعر ان العالم لا يباليه كما يبالي أموره ولا يفيد من المرات السابقة عظة .

(١٣) إن الذين يبالغون في قدر قيمة فضائلهم أو مزاياهم أو آرائهم كأنهم ينظرون بعين من أصابه اليرقان . إذا نظروا الى آراء غيرهم أو فضائلهم أو مذاهبهم أو مبادئهم ، فتظهر لهم كما تظهر الاشياء مصفرة كريهة في عين من أصيب بداء اليرقان ، والذين عانوا الاضطهاد من غيرهم كثيراً ما يتعلمون منه كيف يضطهدون غيرهم بدل ان يتعلموا ضرورة التسامح . ومن أجل ذلك يصل الناس الى قصر صدق النظر والمبدأ والاخلاق والرأي على طائفتهم وحدها مهما تكن تلك الطائفة صغيرة ، وهذا ضيق في الذهن لا يمكن صاحبه من أن يفهم أن عقول الناس تختلف كاختلاف وجوههم ، وان اختلاف الآراء والمبادىء والمذاهب أمر ضروري ، وان أنواع الفضل متعددة ، وينبغي أن نتقبلها على اختلافها ، فان اختلافها دعامة الحياة .

(١٤) إن الناس يقيسون الدنيا وأمورها بأنفسهم لا بقدر تلك الأمور ، فما يسعدهم

مكانه في الأرض أو منزلته من توهمهم صغر حتى ولو كان كبيراً عظيماً ، وشأنهم في ذلك شأنهم في قدر الحوادث والأمور التي يبعدهم الزمان عنها فتقل قيمتها إذا ابتعدت بعد قربها ، فسيان أكان البعد بالمكان والمنزلة أم بالزمان فإنه يصغر قيمة الأمور .

(١٥) من الناس من يلطخون انساناً بالوحل ، ثم ينادون انه ينبغي تجنبه لأنه ملطخ بالوحل ، وهي عادة فاشية في الناس فيلصقون الى خصومهم صفات سيئة ، ثم يتخذونها حجة لاضطهادهم وحث الناس على اضطهادهم ، وهذا أمر يقلب مقاييس العدل في الأمور ، إذ يصير الجاني المجرم حقاً ينال الثناء ويصير المجني عليه آثماً نصيبه العقاب .

(١٦) إن الشاب يشعر بالقوى الحيوية أكثر من الشيوخ . ومن أجل ذلك قلما يدرك الشباب معنى الفناء والموت مهما رأى من مظاهرهما في غيره فان ذلك لا يكون إلا بعد أن يفقد الروح الحيوية التي في الشباب ، وبعد أن يشعر بالفناء يدب في جسمه ، وبعد أن يرى آماله ومسراته تذوي كما تذوي الأزهار . أما قبل ذلك فانه يشعر في الشباب أن الحياة كنز لا يفنى ، وكأس من الرحيق لا يفرغ مهما احتسى منها وأوراق وذخر لا ينفد مهما بذل منه لأن روح الخلد في الشباب . ومن أجل ذلك يسرف الشباب في بذل ما يفيض به من قوى الشباب وحيويته إسرافاً قلما تنفع معه موعظة ، ويقدم على المهالك بشيء من الاطمئنان ، ولا يغتر أحد بكثرة شكوى الشبان ، فانها لا تنافي ذلك ، بل هي ناشئة من انهم قد لا يجدون إسعافاً من الدهر بقدر ما فيهم من حيوية وآمال ورغبات .

(١٧) إن الناس مثل آلات تدار أو حيوانات يعلق عليها نير مناصب الحكومة أو الأعمال الحرة والمهن والحرف فيسيرون في الطريق التي اختطها من سبقهم ، وينجحون في تأدية ما يراد منهم ويسعدون بنجاحهم ، فكأنما ذلك النير هو نير السعادة ومرجها ورباطها وكل ما يطلب منهم ألا يدعوا انهم أحكم وأعرف من غيرهم ممن أدركهم أو سبق عصرهم . فاذا هيأ لهم حب الظهور أن يظهروا ذكاء أو غروراً أو اغتراراً بالحكمة أو انهم يعرفون من الأمور المنوطة بهم ما لا يعرفه غيرهم ، فان ذلك قد يكون سبب خيبتهم ، فانه إذا صرفنا النظر عما يجلبه عليهم هذا المظهر من عداوة وحسد ، فقد يتخبطون في التجارب والطرقات ولو فرضنا أن انساناً منهم مصيب في بعض آرائه وخططه فانه قد يغالي بقيمتها شأن أكثر

المبتدعين فتنقده المغالاة الاتزان والاعتدال . وعلى العموم أو في الغالب يكون حذق الجماعة أعظم من حذق الواحد الفرد، ورأيهم أصوب من رأيه، وخبرتهم أعظم من خبرته إلاّ من شذّ وندر . ولا يصح أن يتخذ كل إنسان الشاذ النادر من الملكات قاعدة، وأن يعد كل انسان نفسه من ذوي الملكات النادرة ، وإلاّ ما كانت كذلك ، وأمور الحياة تقتضي المشاركة والتعاون، وإذا زوّى الإنسان وجهه عن الأمر المألوف المعتاد ، وحاول بتجنبه أن يختط لنفسه خطة جديدة لم يجد مشاركة ولا معاونة من الناس، وانصرفوا عنه أو اضطهدوه ، وهي سنة وطبع فيهم ، بسبب اعتدال أمور العالم وثباتها ، بدل تقلقلها وتدحرجها وترجحها .

(١٨) قد تختلط في نظر بعض الناس طيبة القلب وعدم المبالاة فان ذوي الأثرة وحب الذات لا يبالون أخربت الدنيا أم عمرت، وهل عمّ الفساد أم لم يعم ، وهل انتشر الشر أم لم ينتشر ، وهل خُذِل الحق ، أم لم يُخذل ، وهل اشتدت القسوة ، أم لم تشتد ، ما دام كل ذلك لا يمس مصالحهم ، فتحسب قلة مبالاتهم وأخذهم الامور بالخلق الهين اللين من طيبة قلبهم ، مع أنهم لو مُسّ أمر من أمورهم، زالت قلة مبالاتهم وأظهروا جنناً وشدة .

(١٩) إننا لانبلغ الحق ولا ننصف الناس إلاّ إذا عرفنا وقدّرنا جانب الصواب والحق الذي كثيراً ما يكون ممزوجاً بأخطاء الناس وأغلاطهم، فاذا جافينا أو أخطأنا ذلك الجانب من الصواب والحق ، أو حدنا عن الحق الممزوج بالباطل المفقود ، فاننا قد نخطئ بقدر خطأ من ننقدهم أو نتوهم .

(٢٠) يحسب المرء أن استسلامه للخيال اللذيذ ، وأحلام اليقظة السارّة ، أمر بريء لاضرر منه. والحقيقة هي أن من يتعوّد ذلك الاستسلام كثيراً ما يضعف عزمه . ويفقد الأهبة والاستعداد والنشاط للعمل ، ويدعوه استسلامه للخيال الى الاستنامة الى ما قد يأتي عفواً من غير تدبير منه ، أو سعي أو كدّ وكدح . وكذلك من ينصرف الى التفكير النظري كل الانصراف ، ولا يتعوّد التفكير في الاعمال ، لأن ذهنه يشغل بحقائق بعيدة يكون المرء أمامها كالناظر المتنزه بالنظر والتأمل ليس له موارد من همة يجهزها لملاقاة

حقائق الحياة القريبة ولا من عزم وعقل واقدام ينال به خيرها ، ويصد عنه شرها ويحتال لها بل قد تدركه الحيرة .

(٢١) ينعي بعض الكتاب على الفقراء دناءة حسدهم للأغنياء ، ولا ينعون على الأغنياء دناءة الاسراف في اللهو ، وهم يرون الفقراء يتضورون في زمهرير الشتاء ، ويداسون كما يدوس صُنّاع النبيذ العنب بأقدامهم .

(٢٢) لو كان اعتقاد المرء الآراء بسبب قهر المنطق الصحيح لعقله ولنفسه على أن يقبل رأي أو فكرة ما ، لكان كل الناس شهداء المنطق والفكر ، ولا يستطيعون أن يخففوا عن أنفسهم ومن الناس مما يقتضيه العقل حسب ما يوحي به . ولكن الواقع أن الناس تستطيع أن تعتقد ما يوافق احساساتهم ، وهذا يمكنهم اذا كان فيه راحة لهم أو منفعة ، وأن يخففوا عن أنفسهم أو عن الناس كما يمكنهم من مناقضة أنفسهم اذا كان فيها تخفيف عن أنفسهم أو عن الناس .

(٢٣) من أسباب قبول الناس للآراء والأخبار والشائعات ان كل انسان يخشى أن يشذ عن الناس ويخاف ان لا يكون مثلهم . ومن أجل ذلك يلتقفون الآراء والشائعات والأخبار بعضهم من بعض ، فهذا الانسان يصدق امراً ويقبله لا لأنه أمر يصدق ، بل لأن ذلك الانسان يصدقه ويقبله . وأغرب من ذلك ان هذا الانسان يصدق ويقبل الأمر الذي يخيّل له ان ذلك الانسان سيصدقه وسيقبله أو سوف يقبله ، فيسبقه الى تصديق ذلك الأمر وربما كان هذا السبق سبباً في أخذ المعاشر المسبوق به ، وتصديقه اياه ، ولولاه ما أخذ به كما زعم السابق انه سيأخذ به .

(٢٤) في بعض الأحايين نرى ان شدة الشغف بغاية ما ، وشدة اللهفة للوصول الى الغاية والمقصد تعوق عن اجادة الوسيلة التي تؤدي الى تلك الغاية لأن الوسيلة تحتاج الى تأنٍّ وصبر وجلد وزمن ومران ، فيراها الملهوف طويلة مملة ، وتسبقها لهفته في الوصول الى الغاية المنشودة ، فيحاول الوصول الى غايته من أقرب الطرق ، حتى ولو أدى ذلك الى ان يخطىء طريقها ، ولا يجيد في وسيلته اليها .

(٢٥) إذا رضينا في أمر زاد اعتقادنا اياه وتصديقنا به ، وصرنا أكثر عناداً في الدفاع عنه ، ولكننا إذا خالفنا الناس جميعاً ربما اعترانا الخجل من اظهار رأي يخالفه الناس جميعاً ، حتى ولو كان عين الصواب ، فان قدوة الناس تضغط علينا سواء أشعرنا ام لم نشعر بها ، كما

تضغط قوة الجاذبية على جميع الكائنات . والانسان الذي يستمر في الدفاع عن رأيه من غير ان يتأثر بمخالفة الناس وسخريتهم وتهكمهم به وحرمانه من عطفهم، وبالرغم من ايذائهم اياه، يكون ذا عزيمة كعزيمة الفقير الهندي الذي يقسم لانه ان يظل رافعاً يده الى السماء حتى تتلبد وتجمد وتفقد الاحساس . ولا شك ان هذا الانسان تمر به محنة قد تمسه الى الشك في بواعث نفسه ونياتها ومقاصدها . وهذه قد تزحزح حتى مارد الكرة الارضية من تحت قدميه ويظل معلقاً وحده في الفضاء .

(٢٦) زعم هوبز الفيلسوف ان الناس لا يختلفون في ان مجموع زوايا المثلث يساوي زاويتين قائمتين، وان مجموع الاثنين والاثنين اربعة . لأنهم لا مصلحة لهم في هذا الخلاف . ولو كانت للناس شهوة ملحة، أو مصلحة في انكار ذلك لانكروا هذه الحقائق الرياضية . والواقع انهم عند تطبيقها في أمور الناس التي تمس الشهوات والرغائب والخلاف يختلفون فعلاً في هذا التطبيق .

(٢٧) كثير ممن يدينون بالديمقراطية يدينون بها نظريًا . اما في الأمور العملية فان كل انسان لا يدين بالديمقراطية ولا يأخذ بمبدئها الذي هو مبدأ المساواة . ويود لو يضحي بالناس لاشباع اطماعه، وان يخضعهم كي يعلي نفسه .

(٢٨) قلما يوجد بين الناس من عنده شجاعة كافية للدفاع عن انسان صديقاً كان أو غير صديق إذا ترددت حوله اقوال الناس بالتهم والشتائم فانه يخشى ان يتهم مثله . وان يلاقي عداء من الناس . هذا علاوة على ان كل انسان يميل الى اعلاء نفسه بشتم غيره وانتقاصه، فاذا وجد الناس ينتقصون انساناً وجد الميل موطأً الى هذا الاعلاء لنفسه (ولو وكل الخصم كما قال هلبس كمحام بأجر مقنع للدفاع عن خصمه لوجد من ابواب المدح ما يبطل به ذم خصمه)

(٢٩) ينسى الناس في معاملتهم انهم لا يتعاملون بالعقل النظري المحض، وانما يغطي على أعينهم فيحسبون هذا الحساب، وانما هم يتعاملون بما هم محكومون به من الشهوات الجامحة والنزعات الشاردة . وقد يتخاصمون ويسعى كل في أذى الآخر بسبب الاختلاف في أتفه الامور، فهم كالاطفال المدللين . فحياة الناس كثيراً ما تكون لعبة من لعب التمويه والغش، فهم يريدون أمراً وسعادتهم في غيره، أو انهم يجدون السعادة في ذلك اللعب نفسه ولكنهم في النهاية ربما يجدون سؤر كأس تلك السعادة مرًّا كريهاً .